International Journal of `Umranic Studies
Jurnal Antarabangsa Kajian `Umran
المجلة العالمية للدراسات العمرانية
journal homepage: www.unissa.edu.bn/ijus

علم العمران، أصوله وفروعه ومصادره وعلاقته بالدين الإسلامي

محي الدين بن الحاج يحي
كلية إدارة التنمية الإسلامية
جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية
Mahayuddin.yahaia@unissa.edu.bn

Vol.1, Issue 1 | January 2018

الخلاصة

العمران هو مفهوم العلم الذي صمَّمه ابن خلدون لمعالجة مشاكل المجتمع والدولة لغرض التنمية بالمعنى الحقيقي. في نفس الوقت يحاول تحويل الرأي العام، وخاصة الفلاسفة والمؤرخين من أجل أن يرى ويعيد النظر في الأسباب الحقيقية للمشكلة فيما يتعلق بتأثير ونفوذ الثقافة والبيئة على حياة الناس اللتين تم تجاهلهما. تأثير الثقافة ونفوذها المستمر فهي متجذرة بعمق في المجتمع، فضلا عن تغير المناخ لإحداث ما يؤدي إلى تغيير الناس أيضا. ويستند كل تغيير في القوانين والأنظمة إلى هذا التغيير. هذا هو ما يسمى طبيعة العمران (قانون المجتمع) وطبيعة الكون (القوانين الطبيعية) التي لم تتم دراستها ولم تعرف إلى الآن. وهذا هو السبب الذي جعل الناس لا يزالون واقعين فريسة للحياة المادية المدنيّة والحضريّة التي جرفتنا شوطا طويلا دون إجراء أية تغييرات.

الكلمات المفتاحية

العمران، المجتمع، البيئة، الحضارة، الإسلام

ABSTRACT

`Umrān is a scientific term which was designed by Ibn Khaldun aiming at taking up problems faced by the community and nation. This study attempts to underscore the meaning of the term "`Umrān" aiming to achieve the real sense of development of the nation. At the same time, to change the public opinions especially the philosophers and historians to reconsider the effect of cultural and environmental aspects in human life which has been ignored. The effect of culture and climate upon society has been predominantly rooted, and the law and culture of the community would be changed accordingly. This came to be known as "the law of society" and "the law of nature" which have not being studied and still unknown until presently. As a result, the society are victimized by materialistic minded posed by civilization and urbanization and continued to be unchanged until today.

KEYWORDS

`umran, community, environment, civilization, Islam

التمهيد

الحمد لله القائل: وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

في *مقدمة ابن خلدون*، بداية من الفصل الأول إلى الفصل السادس، والفصل الأخير كرّر ابن خلدون كرر كلمة العمران أكثر من 225 مرة، بما في ذلك عناوين المطالب في الفصل. من هذا التكرار يبين أن للعمران فرعين رئيسيين هما الحضارة والثقافة. كما ترتبط كل فروع العمران بالتاريخ الذي سار عليه البشر. وفي حين أن هناك جهود لفصل العمران عن الحضارة، والثقافة والتاريخ، ولكن في الواقع يؤكد إن هناك مرحلتين. المرحلة الأولى العمران الثقافي (العمران البدوي) والمرحلة الثانية العمران الحضري. فهما مترابطتان على حد سواء ومكملان لبعضها البعض من خلال سلسلة من الأحداث.

وفقا لما يراه ابن خلدون، نرى أن المجتمع ليس جامدا بل يتحرك ويتطور من مجموعات صغيرة إلى مجموعات أكبر من المجتمع البدائي (البدوي) إلى المجتمع المدني (الحضاري)، ومن المجتمع المتحضر إلى المجتمع العمراني. والمجتمع العمراني يتمتع بكل جانب من جوانب الحياة المادية والعقلية والروحية.

والمجتمع البدوي هو المجتمع الصغير الذي يعيش فيه الناس في المناطق الريفية في الصحراء دون توفر الحاجات الأساسية الكافية. ومع ذلك، فإنه لا يزال موصوفا بالعمراني في السياق الثقافي الذي يتضمن اللغة والدين والأخلاق التي تكون دليلا على الحياة العمرانية. ومع ذلك فإن حالتهم قد تتحول إلى المجتمع المتحضر من خلال جهودهم الذاتية أو من خلال مساعدة من الناس الذين ينتقلون إلى منطقتهم.

المجتمع المتحضر في نظر ابن خلدون هم الناس الذين عاشوا في المنطقة التي طورت المشاريع الزراعية والصناعية، والتي تسمى قرية أو مصر (المدينة). والتجمع من عدة قرى وأمصار يشكل مساحة أكبر وأكثر تقدما تعتبر من قبله البلاد (المحلية) أو الدولة. والجمع بين جميع البلدان المعروفة باسم العالم. الازدهار في المستوى العالمي هو ما يسمى عمران العالم (الازدهار العالمي) الذي يحاول أن يقدمه ابن خلدون للعالم في *مقدمته*.

1. **التعاريف**

كلمة عُمران جَذْرُها (عَمَرَ) يعني الوفرة والازدهار بسبب وجود كثير من السكان ومن الشركات والصناعة والزراعة[1]. ومن نفس الجذر ظهرت كلمة عامر ومعمور، مما يعني أن في المنطقة عديدا من السكان، وعالم مزدهر ومثقف لتعاون المجتمع وتوافقه والعدالة في الحكومة. وتدل عموما من حيث اللغة إلى حالة وجود آمن مزدهر، متقدم، ومتعلم، أثرياء، أغنياء، ومن حيث عدد السكان، لديهم وظائف في الدولة وعدم البطالة[2].

[1] عبد السلام هارون، *المعجم الوسيط*، ج2، مجمع اللغة العربية، القاهرة، 1961، ص632-633

[2] عبد السلام هارون، *المعجم الوسيط*، ج2، مجمع اللغة العربية، القاهرة، 1961، ص632-633

من حيث المصطلحات، لها عدة معان على حسب الأمثلة المشار إليها في *المقدمة*. وتستمد هذه المعاني من الكتاب الأول بعنوان في طبيعة العمران في الخليقة (قانون العمران في العالم). بداية من كلمة (التاريخ)، يليه (الاجتماع الإنساني) وينتهي بكلمة (العمران) وهذه الكلمات الثلاث لا هوادة فيها وتحدد معنى الاصطلاح. كما قال ابن خلدون إن التاريخ "خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم" [3].

ووفقا له، فإن العمران بُنِي على ثلاثة مبادئ، وهي التاريخ (الوقائع التاريخية)، والاجتماع الإنساني (التعاون بين أعضاء المجتمع) والكون (طبيعة الكون)[4]. فهذه العناصر الثلاثة تتفاعل مع بعضها البعض من خلال العصبية حتى تنشئ الدولة والازدهار (العمران). يُعرف ابن خلدون العمران بأنه "ظاهرة اجتماعية يقودها مجموعة من الناس الذين يتعاملون ويتحدون في المناطق الحضرية أو الريفية في البلاد المستقلّة لغرض تلبية احتياجات حياة مريحة ومزدهرة روحية كانت أم مادية تسترشد بالدين والأخلاق والقوانين واللوائح الطبيعية وخلق الإنسان من الله" [5]

وتتولد هذه الحالة من ثلاث مراحل: الضروري، والحاجي والكمالي. وأُخِذت هذه المصطلحات من مصطلحات أصول الفقه.

والمقصود بالضروري عند الفقهاء هو الاحتياجات الأساسية مثل الدين والحياة، والفكر والنسب والممتلكات. كما شُبِّهَ الحاجي بقصر الصلاة والإفطار للمسافر. والكمالي هو مكمل للحاجي وليس بالضروري قضاؤه في حياة الإنسان، ولكن إذا حصل بعد ذلك تكون مرحلة من مراحل الحياة أكثر راحة وفضلا؛ مثل العادة الجيدة والمفيدة[6]. قد عدّل ابن خلدون هذه الطريقة في مجال الحياة العامة بداية من المجتمع البدوي المتكون من الذين يعيشون في الصحراء، وهو العمران البدوي الضروري للطبقة المتوسطة من الناس إلى الطبقة العليا أو الطبقة الحاكمة، الأرستقراطية، العمران الحضري الكمالي.

ثم بيَّنَ ابن خلدون نطاق العمران، وهو العمران البشري والاجتماع الإنساني الذي يحتوي على ثلاثة أمور، (العمران)، و(الاجتماع) و(البشر/الإنسان). إذا تمّ سرد كل الثلاثة أصبحت عمرانا وهي نتيجة التعاون بين الشعوب. وذكر أيضا تاريخ نشأة العمران وكيف يحدث مزيجا من هذه المصطلحات التي تشكل العمران.

2. **أصول العمران:**

العمران مصطلح جديد ومعقدّ. جديد في مجموعة العلم ومعقدّ من حيث اللغة والاصطلاح. تم عرضه لأول مرة من قِبل ابن خلدون في القرن الرابع عشر الميلادي في كتابه "المقدمة". وكثير من الناس لا يعرفونه ولا يُسْتَخْدَم كثيرا، بل لم يُسْتَخْدَم قط في اللغة اليومية. ويعتبر ذلك "معقدّ" من حيث اللغة والمصطلحات لمختلف المعاني والأغراض التي يشملها.

---

[3] عبد الرحمن بن خلدون. (1993). *مقدمة ابن خلدون*. بيروت: دار الكتب العلمية. ص27

[4] محمد سعيد رمضان البوطي. *منهج الحضارة الإنسانية في القرآن*. بيروت. دار الفكر. 1998. ص19-20.
استخدم البوطي كلمة الحضارة بدلا من العمران.

[5] محمد عابد الجبري. فكر *ابن خلدون العصبية والدولة*. بيروت. مركز الدراسات الوحدة العربية. ط5. ص132-138. ص294.

[6] محمد عابد الجبري. مرجع سابق. ص294.

وكذلك من حيث المنشأ (أصل الكلمة) وتاريخ نشأتها التي لا تزال متشابهة. بل إن ابن خلدون لم يتكلم عن أصل الكلمة واستهلاك مواردها، ولكن يقارنها بكلمة مدنيّ وهو المصطلح المستخدم من قِبل الفلاسفة وذلك لشرح معنى "العمران". ثم ذهب إلى تعريف العمران والتاريخ والحضارة[7]. ولكن ما يشكل العنوان الرئيسي في الكتاب الأول هو طبيعة العمران في الخليقة. فثبت هنا أن العمران هو الموضوع الرئيسي في مقدمته وليست العصبية أو الدولة.

فالعمران علم ومصطلح جديد، ولكن تم رفعه من قِبل أبو نصر الفارابي، وذلك باستخدام المصطلحات التي تكاد مطابقة لما قاله ابن خلدون وإن كان الغرض والتفسير مختلفين.

وفقا لما يراه أبو نصر الفارابي حينما يتحدث عن الأسباب التي أدت إلى تشكيل المدينة أو البلد في عمله الشهير بعنوان المدينة الفاضلة، يرجع ذلك إلى التعاون والتعاضد بين أفراد المجتمع. يطرح هذا السؤال في موضوع خاص بعنوان "النقاش حول ضرورة التعاون البشري" (القول في احتياج الإنسان إلى الاجتماع والتعاون). رأى الفارابي أنه ينبغي أن يحدث التعاون والتوافق من المستوى الأدنى وهو الأسرة (المنزل)، وتليها مجموعة من عائلة (سكة)، ثم قرية (محلة)، ثم منطقة (قرية)، ثم بلدة (مدينة)، وبلدان (أمة) والأخيرة هي العالم (المعمورة) أو التي تعرف أيضا باسم "مواطني العالم" (أهل المعمورة). يعتبر مواطني العالم عدد كبير من الدول المتقدمة (الكاملة). وهو يتألف من دول مختلفة من القبيلة والعرق والحضارة والدين واللغة والثقافة المتنوعة ولها سمات الكمال كالاتحاد، ومساعدة بعضهم بعضا والولايات المتحدة[8].

ورأْي الفارابي مطابق لمعنى كلمة عمران المعروفة في القواميس العربية ومقدمة ابن خلدون. وأما الفرق بينهما فهو من جهة الاصطلاح فحسب. ويستخدم الفارابي لفظ معمورة، بينما يستخدم ابن خلدون لفظ عمران. لهما نفس الأهداف والمقاصد نحو التقدم والازدهار من خلال الوحدة. مع ذلك، فإن الطريقة أو المنهج المستخدم منهما (ابن خلدون والفارابي) مختلف قليلا. فبينما الفارابي من الفلاسفة ونفذت فلسفته لأغراض سياسية[9]،نرى أن الجانب الاجتماعي فيه أمر جانبي. على العكس من ابن خلدون فهو رجل اجتماع وتاريخ وأكثر دراية بكل من هاتين الدراستين. وقد حلّل معنى العمران بمفهوم أوضح وأفضل.

كان الفارابي يستخدم مصطلح "المعمورة" لوصف معنى المدنيّة الذي يعني تقريبا نفس المعنى لكلمة العمران. ولكن يتبين من شرح ابن خلدون، أن مصطلح المدنّية الذي يُسْتَخْدم من قِبل الفلاسفة ومنهم الفارابي يكون وصفا للحياة والتنمية في المدينة، وليس متساويا في معناه بما نقله من معنى العمران. بناء على ذلك، قال ابن خلدون إن العمران علم جديد في البداية وعلى منهج جديد قائم بنفسه ويختلف عن العلوم السابقة.[10] على سبيل المثال،

---

[7] عبد الرحمن بن خلدون. (1993). *مقدمة ابن خلدون*. مرجع سابق. ص29.

[8] انظر Idris Zakaria, *Teori Politik al-Farabi*, Dewan Bahasa dan Pustaka, Kuala Lumpur 1991, ms 33-74

[9] Idris Zakaria, *Teori Politik al-FArabi*, ms xiv

[10] عبد الرحمن بن خلدون. (1993). مقدمة ابن خلدون. مرجع سابق. ص 29.

كلمة "الاجتماع الإنساني" (التعاون في المجتمع) في المدينة، وفقا للفارابي يقتصر على التعاون بين المجتمع المحلي في المدينة، ولكن هذا التعاون عند ابن خلدون لا يقتصر على مواطني المدينة ولكن يشمل كل الناس داخل وخارج المدينة، وليس فقط بين الإنسان بل يشمل البيئة كذلك. وهذا هو الفرق بين علم "المعمورة" القديم للفارابي وعلم "العمران" الجديد لابن خلدون.

كلمة عمران تقترن كثيرا بكلمات أخرى متشابهة في معناها. وأدى ذلك إلى بعض الخلط من الباحثين في مقدمة ابن خلدون. ولذلك قاموا بالتفسيرات والتكهنات المختلفة حول هذا الموضوع[11].ولاسيما عندما يكون هناك تداخل في المعنى بين مصطلحى "الاجتماع الإنساني"و"العمران البشري" من جهة، وبين العمران والحضارة، ثم المدنّية والتمدّن من جهة أخرى.

كذلك ما حدث في مصطلح الخبر، والاجتماع والعمران في تعريف التاريخ "التاريخ خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم" فقد أدى ذلك إلى ظهور النقاش حول التاريخ أو المجتمع أو عمران االعالم الذي أصبح التركيز الرئيسي عليه في *المقدمة*. ولكن ما العلاقة بين هذه الثلاثة، وما السبب في وضع التاريخ والمجتمع على التوالي مع عمران العالم؟ كل هذا له هدف وسبب من تلقاء نفسه.

ونعلم أن كل كلمة أو مصطلح في أية لغة، يدل على معنى خاص به أو دلالة. إذا كان كل مصطلح له نفس المعنى، فما فائدة إنشاء كلمة أو مصطلح؟ إذا كانت كلمة عمران مرادفة للبشر بمعنى الإنسان، فما معنى وضع كلمتين في فقرة واحدة. أليس ذلك يدل على الإفراط أو التعدد (redundant) الذي لا ينبغي أن يحدث؟

وقد أنشأ ابن خلدون مصطلح العمران تفريقا له عن مصطلح المدنيّة. كذلك ما حدث لمصطلح التاريخ، والاجتماع الإنساني وعمران العالم الموضوعة في جملة واحدة، فإنها من المؤكد أنها تعنى معان مختلفة تبعا لمستواها من المظاهر، بداية من الماضي (التاريخ) إلى الحاضر (الاجتماع الإنساني) والمستقبل / المستقبل الآتي (عمران العالم).

أظهر في المثال الأخير الاختلاف في المعنى بين علم التاريخ وعلم الاجتماع وعلم العمران وفقا لتسلسل الأحداث ووقت وجوده. تسلسل الأحداث والمستقبل هو في طبيعة قوانينه، ويجب ألا يفسر على أنه مساو لنظرية "التطور" عند شارلز داروين؛ لأن تسلسل الأحداث التي سار عليها الرجل في نظرية العمران تصف سنة الله التي يجب أن تُتِمّ سيرها من قبل كل كائن حي مثل الإنسان والحيوان والنبات وليس نقلا من الأنواع الحيوانية (القرود) إلى الجنس البشري كما هو موضح في نظرية "التطور الداروينى"[12]

في الواقع أن نص ابن خلدون في *مقدمته* أعدّ وقدم بمثل هذه الطريقة لإظهار قدرات ابن خلدون وفكره وفطنته في معالجة القضايا الاجتماعية الصعبة من خلال معرفته

[11] على سبيل المثال : A.Mukti Ali في كتابه Filsafat Islam Tentang Sedjarah الذي ترجم كلمة "عمران" إلى" الحضارة" ص195،112،77،75،36. و"الثقافة" ص76، و"السكان"ص126، 129 و"معمور"ص128.

[12] Charles Darwin. *On the Origin of Species*

وخبرته الواسعة، ومن ثم فتح الطريق والمساحات وأتاح على أوسع ما يمكن للباحثين من بعده في إعادة التفكير في تفسير كلمات الحضارة، المدنيّة، التمدّن والعمران وفقا لمعناها الحقيقي. ونظرا لحدة تفكيره وجدنا كثيرا من الباحثين ينظرون إلى أن ابن خلدون مفكر مبدع، ومبتكر لكل الأشياء المتعلقة بذلك، ونجح في وصف هذه المصطلحات مخططا ومنظما من خلال إدخال العناصر الجديدة فيه بحيث يبدو المصطلح جديدا وحيويا ويمكن تمييز العمران عما يقال من ترادف هذه المصطلحات.

ذكرنا سابقا العلاقة والفرق بين العمران والحضارة. والآن سوف نذكر علاقة العمران بالتاريخ والاجتماع الإنساني.

وفقا لما يراه ابن خلدون، نرى أن التاريخ يأتي نتيجة للتعاون أو الإجراءات الاجتماعية التي تؤدي إلى عمران العالم[13].التاريخ أنه "خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم". وإن كان معنى التاريخ يذكر وجود علاقة وثيقة بين التاريخ والاجتماع الإنساني والازدهار (عمران العالم) التي لا يمكن فصل بعضها عن بعض، ولكن هذا لا يعني أن كل المصطلحات الثلاثة لها نفس المعنى أو ما يعادلها: لأن استخدام هذه المصطلحات يصف بناء العمران في شكل "متكامل" وفقا لمراحل أو مراتب. بداية من تصرفات الناس، ونتيجة للتعاون بينهما خلال التعاون المتبادل والصداقة الحميمة (العصبية) التي تنشيء التاريخ وثقافة البلاد. وتنشيء كذلك من التاريخ الازدهار (العمران) في الدولة والمجتمع. ونتيجة للتعاون بين الدولة والمجتمع ينتج الازدهار العالمي (عمران العالم). والغرض من هذا التعريف بيان مدى قرب العلاقة بين التاريخ والمجتمع والطبيعة أو في السياق الأوسع للعلاقة بين الإنسان والله، والحياة والعالم.

حول معنى العمران خصوصا، تم الكشف عنه في *المقدمة* (الكتاب الأول في طبيعة العمران في الخليقة).

لإظهار الفرق بين معنى الاجتماع والعمران، ذكر ابن خلدون في الفصل الثلاثون، بعنوان "في أن الخط والكتابة من عداد الصنائع الإنسانية". ينص في هذا الفصل على أن "الخط واحدة من المزايا الإنسانية التي لا توجد في الحيوانات ... يتم إنتاجه من خلال التعلم والازدهار ..." (إذ الكتابة من خواص الإنسان التي يميز بها عن الحيوان ... إنما يكون بالتعليم. وعلى قدر الاجتماع والعمران ....)[14].

وإن كان لفظ الاجتماع والعمران في نفس المعنى، ووُضِعَا في عبارة واحدة، كما هو موضح سابقا، فلا فائدة. مثال آخر يظهر به تمييز العمران بشروط أخرى قيل إنها في نفس المعنى، مثل الفرق بين العمران والنوع، في عبارته: "وأن الظلم مؤذن بخراب العمران المفضي لفساد النوع" [15]

إذا كان العمران بمعني الإنسان، كمثل نوع (الجينات البشرية) فيمكن أن يعتبر زائداً عن الحاجة ولا فائدة منه.

وباختصار، وإن كان هناك فرق في المعنى بين هذه المصطلحات الثلاثة التاريخ والاجتماع والعمران، إلا أن العلاقة والاتصال بين هذه الثلاثة قوية، ولا يمكن فصل بعضها عن بعض. بمعني أن التاريخ حدث بسبب حدوث

[13] عبد الرحمن بن خلدون. (1993). مقدمة ابن خلدون. مرجع سابق. ص27.

[14] عبد الرحمن بن خلدون. (1993). مرجع سابق. ص328-329

[15] عبد الرحمن بن خلدون. (1993). مرجع سابق. ص30

المجتمع، والعمران يحدث بسبب التعاون في المجتمع. مع ذلك، من حيث القيمة ووضع المكونات الثلاثة مختلفة تماما. قيمة التاريخ وحاله ثابتة في الحقيقة، فقيمة الحقيقة ثابتة في المجتمع، فقيمة المجتمع وحاله يُنْظَر إليها من التعاون بينهم وبين الطبيعة حولهم، وقيمة تعاون المجتمع وحاله يُنْظَر إليها من علاقتهم بالبيئة الموضوعة في العمران الذي أصبح معيارا لنجاح المجتمع والدولة، وتشتمل على القيمة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. ولذلك فإن معيار نجاح المجتمع والدولة يعتمد على مدى تحقيق عمران البلاد، "دولة دون عمران مثل الكائنات غير الحية" أو "التاريخ دون الحقائق مثل الخرافات والأساطير". ونرى هنا مرة أخرى أهمية العمران لإحلال السلام والرخاء في المجتمع والدولة.

3. مصادر العمران:

وبالإضافة إلى الموارد البشرية والتاريخية، يقول ابن خلدون أيضا إن العوامل البيئية الحسية مثل الإقليم يجب اعتباره كمصدر وسبب لوقوع العمران وكذلك تطابقها مع الازدهار الوطني بحيث يتم حماية حياة الناس[16]

والمقصود بالإقليم هنا الهواء والماء والتربة والمراعي للماشية. وذكر في *المقدمة*، أن مدينة الكوفة والبصرة والقيراوان في أول نشأتها لا يبدو أنها أولت احتياجات الإقليم اعتبارا. هذا هو السبب في كونها الثلاث (الكوفة والبصرة والقيراوان) أقل ازدهارا. ولذلك، اقترح أن يتم استخدام العوامل الإقليمية كشرط للتخطيط العمراني لازدهار المجتمع والدولة[17].

وفقا لما يراه لابن خلدون إن الموارد والطبيعة (قانون العمران) يبدأ من الكوارث الطبيعية (طبيعة العمران في الخليقة)، ومنها يوجد هذا الحادث. والمصدر الأول للعمران هو الطبيعة المادية مثل الهواء والماء والتربة التى وردت في القرآن الكريم. وكذلك الموارد الاجتماعية والثقافية، بما في ذلك الدين والأخلاق والعلم؛ فالمجتمع يتصرف فقط في وظيفة المدير أو المسرح الممثل لخلق التاريخ. ولكن اللاعب الحقيقي هو الموارد من أجل إظهار القانون وحقيقة العمران. فهذا هو موضوع الاختلاف للتفسير المدني من قِبل فلاسفة اليونان القدماء والعمران عند ابن خلدون. إذا كان فلاسفة اليونان القدماء يفسرون التاريخ من وجهة النظر المادية أو الحضارية للأغراض المدنيّة فقط، فإن ابن خلدون يفسر التاريخ من خلال الأخذ بعين الاعتبار موقف الجوانب المادية من الأحداث الطبيعية والأحداث الإنسانية كمصدر للعمران.

وفقا لما يراه ابن خلدون، (في إشارة الى موقف المؤرخ اليوناني القديم هيرودوت وثيوسيديدز) في العموم قال إن التاريخ (*historia*) يقاس من أمر خارجي (الظواهر)، كأحداث الحرب، تطور الحكومة والدولة، ولكن من الزاوية الداخلية (البواطن) أكثر من ذلك، والذي ينطوي على الخلفية والتغيرات في المجتمع، وثقافة المجتمع التي تنطوي على المعتقد الديني ويعتقد أن يكون السبب الرئيسي لهذه الأحداث التي تقع.

والشكل الأول والعام كما ذكرنا من قبل أُعْتُبِر أنه يشتمل في"التاريخ الخارجي"، في حين أن النموذج الثاني باسم "التاريخ الداخلي" يوصف بأنه "الأصح والتاريخ الحقيقي"[18]. ف"التاريخ الداخلي" يتطلب دراسة محددة

[16] عبد الرحمن بن خلدون. (1993). مرجع سابق. ص283، 316

[17] عبد الرحمن بن خلدون. (1993). مرجع سابق. ص283

[18] عبد الرحمن بن خلدون. (1993). مرجع سابق. ص3-4

ومتعمقة لثقافة الناس وعقليتهم من خلال المعارف المذكورة سابقا وهي علم العمران البشري والاجتماع الإنساني أو ما خلاصته "علم العمران".

4. نشأة العمران وعلم العمران:

رأى ابن خلدون، أن العمران يحدث ويفيد بعد التساكن والتنازل في مصر أو حلة للأنس بالعشيرة واقتضاء الحاجات، لما في طباعهم من التعاون على المعاش.[19]

بتشكل العمران وفقا لقانون الكون، سواء ذوات الأرواح مثل البشر والحيوانات والنباتات أو ما ليس بذوات الأرواح مثل المياه والتربة والهواء. وقسّم ابن خلدون العمران إلى نوعين: أولا : العمران الحضري (في المدينة)، وثانيا : العمران البدوي (خارج المدينة). وكلا النوعين من العمران يتكون من الأحداث القانونية المختلفة.

شكّل عمران البدو وفقا للقانون الحادث والغلاف الجوي في الصحراء. ظروف المعيشة في الصحراء التي تكون في النقصان عموما وتجعل سكانه أكثر شجاعة لمواجهة تحديات الحياة وتشمل التعامل مع العدو في المعركة. وهم أكثر أخلاقية وأكثر شفافية.

تختلف حياتهم عن الحياة في المدينة بحيث تكون الظروف المعيشية فيها أكثر راحة وفاخرة مع ثرواتها الوفيرة التي تسبب خوف سكان المدينة من مواجهة العدو في الحرب خوفا من الخسائر في الأرواح والممتلكات. فهذه الكماليات والتكاثر تسبب لهم التفريط والنسيان وليس عندهم الوقت الكافي للوفاء بالتزاماتهم الدينية والتفرغ لجمع الكنوز وانخفاض الروح المعنوية لأن ذلك راجع إلى الحياة بإيقاع المدينة المجهضة بعناصر الترفيه. وبحدوث هذه العوامل، وتفقد المعايير الدينية والأخلاقية. فتؤدي إلى فقد التوازن بين الجوانب المادية والروحية في الحياة المجتمعية للحضاريين.

لا يزال الشعب البدوي متسّما بالمحافظة على خصائص الحياة الصحراوية طالما أنهم في حالهم البدوي. وسوف تعرض هذه المعايير إلى المدينة لملء الفجوة التي يعاني منها الشعب الحضاري رغم أنهم من الأقوياء في النمو المادي. فاجتماع مميزات المجتمع البدوي والمجتمع الحضاري، وزيادة عنصر التعاون والتعاضد في المجتمع والدولة والصداقة الحميمة (العصبية)[20] القوية نجدها تؤدي إلى التقوية وتثبيت التوافق بين أهل المدينة.

وعن دور الاحتياجات العصبية في المجتمع والدولة نجد أنها نوقشت في نطاق واسع من قِبل ابن خلدون في *المقدمة*، بداية من الباب الثاني (الفصل السابع) إلى (الفصل الحادي عشر)، ومرة أخرى في الباب الثالث (من الفصل الأول إلى الفصل التاسع). ومع ذلك، فإن نقاط القوة والضعف في العمران لا ترتبط بتأثير العصبية حتى قيل إن الدعوة الدينية من غير عصبية لا تتم.

بشكل عام، بمقارنة تأثير النفوذ بالعصبية الدينية يلاحظ أن التأثير الديني أكبر من ذلك بكثير. نقل ساطع الحصري عن ابن خلدون ما يلي: [21]

[19] عبد الرحمن بن خلدون. (1993). مرجع سابق. ص31

[20] العصبية هي الولاء الذي يظهره كل فرد من أفراد القبيلة أو المجموعة. تحدث العصبية على مرحلتين. أولا، عصبية في المجموعة. والمرحلة الثانية، عصبية الجماعات ضد الحكومة. عصبية تصبح واحدة من الركائز الأساسية لتوحيد الدولة والمجتمع.

[21] ساطع الحصري. 1953. *دراسات عن مقدمة ابن خلدون*. القاهرة. ص350.

على سبيل المثال، في معركة اليرموك والقادسية الواقعتان في زمن الخليفة عمر بن الخطاب حيث انتصرت جيوش المسلمين على الرغم من أن جيش الأعداء أكثر عددا " جموع فارس وجموع هرقل"مع أن عددهم كان بضعة وثلاثين ألفا ، في حين أن جموع فارس كانت نحو مائة وعشرين ألفا بالقادسية، وجموع هرقل كانت – على ما قاله الواقدي – أربعمائة ألف باليرموك. ويرجع ذلك إلى أن حماسهم الديني تغلّب على عصبيتهم"[22].

وكفانا معرفة الفرق بين العصبية والعمران بألا نعلق بعضهما ببعض، فالعصبية قائمة على العنصرية، في حين أن العمران قائم على أساس الدين والوطن (حب الوطن). ينبغي أن تؤخذ هذه الاختلافات في الاعتبار لتجنب الفوضى التي قد تنشأ عن العصبية التي تتصف بالعنصرية من عرق معين بالعمران الوطني الديني الأوسع من الدين والوحدة الوطنية.

إنهيار العمران ناتج عن فقدان الحس الوطني، وترك التعاليم الدينية، والانحطاط الأخلاقي هو الأكبر خطرا من فقدان العصبية[23]. على سبيل المثال، وإن كانت المدينة فقدت كثيرا من سكانها (بسبب فقدان الطاقة والعصبية) ولكن العمران المبني بالفعل (قديمة العمران) لا يزال قادرا على الوقوف بما كان من قبل. وهكذا فعل ابن خلدون، من أنه لا يربط إنهيار العمران بفقدان العصبية كما يحدث من فقد الدين والأخلاق.

وهذا يعني أن الدين والأخلاق هما المحركان للعمران، وليست العصبية. وبعبارة أخرى، وإن كانت الصداقة الحميمة أو عصبية المجتمع سببين من أسباب تقوية الدولة، إلا أنه بسبب عدم وجود الدين والأخلاق، فعاجلا أو آجلا سيصبح المجتمع والبلد ضعيفا فتحدث الفرقة والفساد.

5.علم العمران:

قد وُجد كثير من الأسماء والألقاب التي قدمها الباحثون لكتاب ((مقدمة ابن خلدون)) لتسمية العلم الذي قدمه ابن خلدون، على الرغم من أنه نفسه قد سمى علمه في بداية الكتاب، وهو علم العمران البشري[24]. ويمكن ترجمته إلى "علم الحياة البشرية والمجتمع" والتي تضم ثلاثة تخصصات من العلوم، هي العلوم الدينية، والعلوم الاجتماعية والعلوم التابعية. وهذه الثلاثة تنبع من الوحي المطلق. والفرق بينها هو أن علم الدين كالتوحيد، والفقه، والتصوف مأخوذة من الآيات المحكمات[25]، في حين تم إرسال العلوم الاجتماعية مثل التاريخ والجغرافيا والآثار، وعلم النفس والفن والعلوم التابعية مثل الفيزياء الكيميائية والفلك والرياضيات والطب من خلال الآيات المتشابهات[26]

[22] ساطع الحصري. 1953. *دراسات عن مقدمة ابن خلدون*. القاهرة. ص348

[23] تختلف الأخلاق من الشخصية والمعنوية. من حيث الفلسفة، "الأخلاق" تعني "القيم الجيد" عموما، وكذلك المعنوية. "الأخلاق" كذلك قيمة جيدة. والفرق هو أن المتطلبات المعنوية والشخصية تتغير مصدرها ومتبعة لإنسان في تفسير جمهور الممارسين بذلك. الأخلاق ثابتة مستمدة وفقا لوحي الله.

[24] عبد الرحمن بن خلدون. (1993). مرجع سابق. ص29.

[25] هي الآيات في القرآن الواضحة حكمها، سواء بحكم القانون أو من حيث كيفية تنفيذها، مثل الآيات عن الصلاة، والصيام، والزكاة والميراث، والحج وما شابه ذلك.

[26] هي الآيات القرآنية غير الواضحة حكمها، وخاصة من حيث التنفيذ، وتشمل العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، والعلوم التابعية والرياضيات والطب.

وفقا لما يراه ابن خلدون، نرى أن كل العلم يرتكز إلى اثنتين من الحواس أو اثنتين من الصفات وهما الظاهرة والباطنة. كالمثال الذي قدمه وهو العلم الاجتماعي مثل التاريخ. على الوجه الذي يتجلى فيه ذلك من خلال الأحداث مثل الحرب وصعود إمبراطورية أو سقوطها. ولكن من حيث الباطن تكون متجذرة في المجتمع والأشكال الثقافية. وهذا العنصر الداخلي ضابط للقوة الدافعة للأحداث في التاريخ، وسماها أيضا "قوانين التاريخ".

هذا هو الحال بالنسبة للعلوم الأخرى التي لها قوانينها الخاصة. إذا كان القانون التاريخي يتمكن في المجتمع الثقافي، ويقع العلم الطبيعي على قوانين الطبيعة والإنسان. هذا القانون هو القوة الدافعة لنشأة العمران واتصال بعضه بعضا. وهذا ما سمي بـ"الكونية" أو "التكامل" وهو العلم الذي يحاول أن يقدمه ابن خلدون من خلال علم العمران. وهذا هو السبب في أنه يرى أن علمه هذا علم جديد أو اختراع جديد، والذي يظهر في عهد الإصلاح، ويقف وحده مع قواعد تحدده. وسوف نعبّر مرة أخرى بكلماته عن علم العمران.

قال ابن خلدون في مقدمته بوضوح إن علم العمران هو "العلم الجديد" (مستنبط النشأة) مستحدث الصنعة، وظهر في عصر النهضة (نشأة مستحدثة) وقائم بذاته (مستقل بنفسه)، ولايساوي بالعلوم الأخرى بما في ذلك الخطابة التي هي جزء من علم المنطق والعلوم السياسية المدنية. علم العمران البشري يرتبط دائما بالقوانين البشرية والمجتمع (طبيعة العمران) كما هو موضح في نهاية كتاب المقدمة. إذا كان يشبه العلم الموجود سابقا، لا يمكن القول بأنه "العلم الجديد" و"الخلق الجديد" المولود في عصر النهضة القائم بنفسه. وهذا القول يعني أن علم العمران ليس جديدًا من حيث المصطلح فقط ولكن جديد في محتواه وأساليبه ونطاقه الذي يختلف تماما عن طريقة ونطاق العلم الذي كان موجودا سابقا.

يمكن القول هنا إن العلوم الحديثة اليوم قد كانت موجودة قبل زمن ابن خلدون. إلا أنه قد أضيف إليها قليل من الإضافات التي أدلى بها العلماء في العصر الحديث مكملة لهذه العلوم. وتُنْظَر هذه العلوم بشكل منفصل عن بعضها البعض ودراستها من حيث الجوانب الخارجية البحتة، دون دراسة الجوانب الداخلية للقانون الذي يحدد فعالية العلم.

رأى ابن خلدون أن العلوم تنقسم إلى ثلاثة وهي علوم نقلية (الدين)، علوم عقلية (العلم الذي يستخدم العقل والحواس الذي يشمل العلوم الاجتماعية والعلوم التابعية) واللغويات؛ لأن هذه العلوم منفصلة عن بعضها البعض، خصوصا العلوم النقلية والعلوم العقلية ولا تُدْرَس بشكل جيد من حيث القوانين واللوائح وعلاقتها بحياة الإنسان والطبيعة من حوله، وتوجد الفوضى في المعرفة التي تؤثر على الحياة الطبيعة. ليس فقط في البشر ولكن في المخلوقات الأخرى، بما في ذلك الحيوانات والنباتات. على رأس هذه الأسباب، ظهر ابن خلدون بعلم العمران.

لايستوي علم العمران بعلم الاجتماع أو علم التاريخ، كما زعم كثير من الباحثين؛ لأن علم الاجتماع أساسه أفقي(*horizontal*) وهو دراسة عن المجتمع القائم في منطقتهم. في حين يتميز علم التاريخ بأنه عمودي (*vertical*) الذي هو دراسة عن الأحداث من حيث الوقت أو الزمن.

وقد اشتمل علم العمران على هذه الجوانب من حياة الإنسان من خلال التعامل مع التاريخ الذي هو العمودي والاجتماعي وهو الأفقي، ومرتبط بالأحوال الخارجية للمجتمع وهو (الكون) الذي هو كيفية العواطف والتأثير على حياة الناس. وفقا لما يراه ابن خلدون، لكل حادث من عند الله سواء في الإنسان والكون له قوانينه ولوائحه المسماة طبيعة العمران وطبيعة الكون. لا شك أن علم العمران ليس مجرد علم التاريخ أو علم الاجتماع أو العلوم الاجتماعية بشكل عام ولكنه من العلم الطبيعي.

لتحديد أن علم العمران من العلوم الجديدة، علينا الرجوع إلى أساليب وشروط العلم. هناك أربعة عناصر تحدد ذلك وهي معرفة العنوان، والمحتوى، والقضايا التي أثيرت ومبادئ العلم أو أماكن العمل لتحديد ما إذا كانت تلك العلوم صحيحة أم لا.

من حيث العنوان، العمران هو موضوع جديد لم يستخدمه أي شخص قبل ابن خلدون. فمحتواه ونتائجه تختلف عن العلوم قبله، وله أنظمته وقواعده الخاصة. وبالمثل، من حيث مفهومه وفرضيته لتحديد الصحة التي تختلف من مفهوم وفرضية العلوم من الأشخاص اليونانية القديمة أو لأشخاص من علماء الدين الإسلامي السلفي. وواضح هنا أن لابن خلدون مزيد من التركيز على القوانين واللوائح في الطبيعة والمجتمع التي ترتكز عليها الحياة وتصبح المبادئ والمباني لعلم العمران.

وقد وضّح ابن خلدون أن "هذا الكتاب الأول الذي هو طبيعة العمران"[27]. لذلك، وجد علم العمران كعلم جديد والاختراعات الجديدة وفي عصر النهضة (*renaissance*) له قواعده الخاص به وأساليبه تختلف عن أساليب العلوم الأخرى من قبل. وينصب التركيز على قانون العمران (الاجتماعي والكوني) وتأثيره على المجتمع والتنمية الوطنية.

وهذه المشكلة لا يمكن مناقشتها لأنها من عند ابن خلدون نفسه وقد عرضها أغلب الباحثين للمقدمة. والسؤال الوحيد هنا كيف يمكن فهم هذه المعرفة الجديدة وكيف يمكن تنفيذها؟ ولكن قبل ذلك لا بد من ذكر كيفية إظهار علم العمران أولا.

أبرز ابن خلدون العمران وبناه لمناقشة خصوصيات وعموميات المجتمع وعلاقتها بالتاريخ والتغيرات التي تطرأ على العالم والبيئة[28]. فالمجتمع والبيئة المخلوقة من عند الله سبحانه وتعالى مع جميع القوانين واللوائح هي سلاح لتحقيق أهداف التنمية والعمران.

كان المجتمع وتفاعل الأفراد مع الطبيعة المحيطة بهم عاملا رئيسيا لنشأة العمران، وكلاهما جزء لا يتجزأ من تاريخ نشأة العمران منذ تاريخ بداية خلق الإنسان (منذ كانت الخليقة)[29].

ولكون المجتمع هو منشئ التاريخ ومن التاريخ ينشأ العمران، لذلك ترجم كثير من الباحثين في المقدمة كلمة "عمران" إلى المجتمع أو التاريخ و"علم العمران" إلى علم

[27] عبد الرحمن بن خلدون. (1993). مرجع سابق. ص528

[28] والمقصود من البيئة الطبيعية هي كل المخلوقات الحية مثل الحيوانات والنباتات. ولكنها تستخدم الآن لحياة الإنسان ومكان الإقامة. لمزيد من التفاصيل، انظر عزيزان بحر الدين، " habitat masyarakat madani"، ص 103-136.

[29] عبد الرحمن بن خلدون. (1993). مرجع سابق. ص392.

التاريخ أو علم الاجتماع[30]. ولكن ذلك لم يكن كافيا لفهم معنى "العمران وعلوم العمران الصحيحة بدون اعتبار عناصر العمران خارج التاريخ والمجتمع، وهو في شكله الطبيعي كالأرض والنباتات والموارد الحية الأخرى مثل المياه ويعتبر ابن خلدون الهواء طبيعة الكون، والعمران الأرضي وعمران العالم التي تؤثر على حياة الإنسان. وكل هذا مصدر الحياة الذي نوقش في علم الأحياء والكيمياء والفيزياء.

والسؤال هنا عن كيفية ومدى فائدة طبيعة الكون، العمران الأرضي وعمران العالم وفهمه، هل يمكن فهمها والاستفادة منها، وعما إذا كانت الأساليب والتقنيات يمكن استخدامها لتحقيق هذا الهدف؟ ولا يزال ذلك بلا إجابة.

بل ابن خلدون نفسه، كعضو بارز في بحث المجتمع لا يقدر على تقديم إجابة كاملة، إنه مجرد إلقاء أفكار والفضاء مفتوح وفرصة للخبراء في المجالات ذات الصلة مع منهجيتها والمبادئ المشتركة. ثم يكون الأمر متروكا لهم لمنحهم الخوض في التفاصيل لإيجاد الأسرار الخفية للكون وتنفيذها وفقا للاحتياجات الحالية.

6. أنواع علم العمران:

قسم ابن خلدون نطاق علم العمران إلى بعض المناطق التي يمكن تلخيصها على النحو التالي:

أ. العمران الأرضي

يعني ازدهار الأرض الذي يشير إلى التنمية والازدهار في الأرض والطبيعة التي عهدها الله للإنسان كخليفته في الأرض. والهدف منه سعي الناس لتطور الأرض وازدهارها.

فازدهار الأرض يتركز في التنمية الاقتصادية من خلال الشركات الزراعية والمعدنية. وهذا يتفق مع الغرض الوارد في الآية 9 من سورة الروم والآية 61 من سورة هود.

وازدهار الأرض مختلف تماما عن العمران البشري وتنمية المجتمع أو قيمة البشر التي تنطوي على الجوانب الصحية والنفسية والعقلية والأخلاقية. فتنمية المجتمع في المدن تختلف عن تنمية المجتمع في الصحراء التي تتعلق بالثقافة البدوية والثقافة المدنية (حضري). وثقافة هاتين الطائفتين تختلف عن ثقافة الإنسان العالمي، (عمران العالم). ومع ذلك، توجد علاقة وثيقة بين العمران الأرضي والعمران البشري، سواء في الشكل البدوي أو الحضري أو العالمي لأن الحياة البشرية دائما تعتمد على الاقتصاد. والاقتصاد والمعادن الزراعية مصدر رئيس لكثير من البلاد حتى يومنا هذا. لشرح هذه العلاقة، يبدأ ابن خلدون النقاش من خلال تقديم مجالين، وهما العمران البدوي والعمران الحضري.

ب . العمران البدوي والعمران الحضري

العمران البدوى والحضاري وضعا متساويين ومعاكسين بعضهما البعض عن طريق ابن خلدون للمقارنة بين حياتين مختلفتين، ووضّحهما في مقدمته. وقد فسر هذا كثير من الباحثين وعلى سبيل المقارنة الحياة المادية وحدها دون الأخذ بعين الاعتبار للجوانب الثقافية في شكل

[30] انظر ساطع الحصري. 1953. دراسات عن مقدمة ابن خلدون. ص 236.

المعتقدات الدينية والأخلاق الأدبية واللغوية بالنسبة لهذين المجتمعين. في الواقع، إن جانب الثقافة أصبح جوهر الحياة لمستوى المجتمعين المسمّى بالعمران البدوي والعمران الحضري. إذا فقد منهما الدين والأخلاق فسوف تفقد قدرتهم وقوتهم.

هدد العمران البدوي يتأثر غالبا بالآثار السلبية التي مارسها المجتمع الحضري. وفي نفس الوقت إن التأثير السلبي أصبح خطرا على الأعراف البدائية في حياة البدو. وكان لابد لعمران البدو قبول ذلك عندما يكون في مجموعة الحضارة. هذا الشرط غالبا ما يحدث ويؤدي إلى انهيار العمران الحقيقي الذي رفعه البدو المتجذرون في الدين والأخلاق.

ومع ذلك، إذا كان الواقع على عكس ذلك، وهي إمكانية المحافظة على الدين والأخلاق من الحضري أو البدوي، وسوف يبقى العمران في شكله الحقيقي. مثل الثقافة الإيجابية الموجودة عند البدو هو تقرير يميز الشجاعة والجرأة، والتمسك بتعاليم الدين والأخلاق. ومن الأمثلة على الثقافات الإيجابية للمجتمع الحضري من حيث تطور العلم، وشركات الهندسة المعمارية.

إضافة إلى خصائص البدو والحضر ومنها الإيجابي والسلبي، هناك ميزة إيجابية أخرى في البلدان العامرة، هي العدالة في الحكومة. العنصر السلبي هو الطغيان في الحكومة. وفقا لقول ابن خلدون "العمران المفضي لفساد النوع، وأن الظلم مؤذن بخراب"[31].

وتأتي العناصر السلبية من الحضر الذين يعيشون في المدينة في الحياة المتميزة بالترف الذي يسبب لهم التقصير والتفريط. وحينئذ، سيتم تدمير القيم الإيجابية التي يحملها المجتمع البدوي عندما يكونون في المدينة. فهذا التأثير على هذه العملية يستغرق أحيانا وقتا قصيرا، وأحيانا يستغرق وقتا طويلا. نهصة العمران أو سقوطه تعتمد على الفترة الزمنية والتأثير القوي أو الضعيف.

ت. عمران العالم

فحياة المجتمع الحضري محدودة في المدينة أو البلدة. والحياة البدوية محدودة في المناطق الصحراوية. وحياة المجتمع العمراني ليس لها حدود، سواء من الزمن أو المنطقة الجغرافية، يمكن أن توجد في المدينة أو في القرية، في الصحراء أو في شقوق تلّة أو جبل.

وبعبارة أخرى، فإن نطاق العمران عبر الحدود الصحراوية والقرى والبلدان والدولة القادمة والبلاد إلى المسرح العالمي (عمران العالم). في موقف مستقل تماما وليس ملزمة بحدود الوقت، وقد وفرت مساحة ومكانة مميزة كبيرة من المجتمع العمراني مقارنة بالمجتمع البدوي والحضري لأوسع مساحتها. وكذلك هذه الميزة تدفع المجتمع العمراني إلى التركيز ومواصلة الحديث إلى أن وصل عند ابن خلدون أخيرا.

7. العمران: الثقافة والحضارة:

قال ابن خلدون "ومن هذا العمران ما يكون بدويا ومنه ما يكون حضريا. عمران البدوي هو الذي يكون في الضواحي وفي الجبال وفي الحلل المنتجعة في القفار وأطراف

[31] عبد الرحمن بن خلدون. (1993). مرجع سابق. ص30.

الرمال أما عمران الحضري فهو الذي يكون بالأمصار والقرى والمدن والمدر."[32]

معناها أن كلمة العمران تحتوي معنيين: أولا، إشارة إلى الجمهور في سياق الثقافة وثانيا، إشارة إلى الحضارة في سياق الطبيعة الفيزيائية (الحضارة والمدنيّة). مهما كانت الجهود التي تحاول أن تفصل بين هذين المعنيين، ولكن الحقيقة أنهما يجتمعان في مرحلتين، هما المجتمع المثقف والمجتمع المتخضر وهما مترابطان ومتوحدان في مفهوم العمران على حد سواء.

نظرا لمنظر العمران، نرى أن المجتمع ورخاءه ناشئان من هاتين الحالتين ولهما خصائصهما العمرانية. فالحياة البدوية، كما ذكرنا سابقا، تتميز بالتنمية الروحية، مثل الشجاعة والتصميم والطابع، في حين يفكر الناس من حيث النمو البدني في تطوير العلوم والتكنولوجيا. كلتا الميزتان متكاملتان لتنمية العمران. إذا ضاع واحد منهما، سيتم التهديد في المتانة والسلامة بالانقراض وعرج العمران وانتهاؤه بخراب. فتكون الحضارة سببا في خراب العمران كذلك[33]

وبعبارة أخرى، فإن الحضارة هي الجناح اليميني للعمران في المدينة، ويساره البداوة للعمران خارج المدينة. بهذين الجناحين تُبْنَى حياة العمران الصحيحة وهو عمران العالم. ويترجم التعاون بين الجناحين في شكل الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم.

بنيت الحضارة مجهزة بجميع وسائل الراحة وضروريات الحياة في الريف والمدن بما في ذلك المؤسسات الزراعية والأعمال والتجارة والعلوم والتكنولوجيا. فتدور المشاريع الزراعية في القرية لتوفير الإمدادات الغذائية الريفية لسكان المدينة، في حين إن مؤسسات الأعمال، والعلوم والتكنولوجيا توفر التسهيلات للمزارعين في القرية. تم بحث التعاون بين المجتمعات الحضرية والريفية وقد بينها ابن خلدون بيانا واضحا وممثلا بأمثلة مقنعة[34]. فالموقف من التعاون والمساعدة المتبادلة يهدف إلى الحصول على ضروريات الحياة، سواء كان ذلك الضروري (أساسي) أو حِجي (متطلبات) أو كمالي (الكمال).

الظروف الطبيعية المتغيرة قد تكون سببا في تغير نتيجة الإنتاج الزراعي والتجارة، وبذلك يتغير العمران معها. فهذا التغيير مسبب عن العوامل الجوية. إذا كان الجو في شدة الحرارة أو في شدة البرودة، فالعمران ينخفض. فإذا كانت بسيطة، فالعمران يرتفع. والعامل الثاني هو نتيجة التغيرات في نظام الحكم، والأنشطة الاقتصادية في شكل وسائل العيش، والحرف ونشر المعلومات (الملك والكساء والصنائع والعلوم). والعامل الثالث الأهم منها هو موقف الشخصية وثقافة العمل التي تنطوي على الأخلاق والانضباط والمثابرة والصدق. التغيرات التي تحدث في كلّ من هذه المجالات لها تأثير كبير على تغييرات وإنجازات العمران، سواء كان ذلك بصفة دائمة أو العكس.

وفي نهاية المقال استنادا إلى ذلك التفسير، يمكننا القول بأن إثبات مدى حقيقة تركيز العمران على الأحداث

[32] عبد الرحمن بن خلدون. (1993). مرجع سابق. ص31.

[33] عبد الرحمن بن خلدون. (1993). ص98 (إن الحضارة هي غاية العمران وخروجه إلى الفساد).

[34] Mahayuddin Hj Yahaya. "Masyarakat Madani dalam kerangka Teori Masyarakat 'Umrani: Suatu Ajakan Paradigma". *Kesturi, Jurnal Akademi Sains Islam Malaysia*. يناير – يونيو. 1999. مجلدات التاسعة. ص20.

الطبيعية والقانون الإنساني. ويعني كل منهما ببيان الظروف البيئية الأخرى، ونظام القيم، وأخلاقيات العمل والمواقف التي تحركها الأخلاق والمشاعر والحس السليم من كلا البدوي والحضري. ومع ذلك فكل هذه لا تعمل بشكل صحيح إلا بوجود روح التماسك والتوافق والتعاون في المجتمع. وكذلك بولادة الإنسان، سواء في المدينة أو خارج المدينة، فلن تقدر على المساعدة في تحسين جودة العمران إن لم يكن مصحوبا بالبيئة الطبيعية الصحيحة، ونظام القيم، وأخلاقيات العمل والأخلاق والتعاون فيما بينها. فهذا هو المقصود بطبيعة العمران، الذي هو مخ العمران والأساس الرئيسي لحياة العمران.

هذه الحقيقة دلت على أن العمران دولتان أو مظهران. أولا، يتجلى ذلك في شكل الازدهار المادي (حضارة العمران). والثاني، يتجلى في شكل القيمة والقانون (طبيعة العمران)، كما ذكره ابن خلدون[35].

بإختصار، وظيفة حضارة العمران هي ازدهار الأرض والمجتمع في شكل النمو البدني. ووظيفة طبيعة العمران هي رعاية ومراقبة الازدهار على الأرض والازدهار على المجتمع.

وبناء على هذا البيان يبدو أنها تشير إلى أن للعمران مرحلتين في الحياة. المرحلة الأولى، عمران البدوي الموصوف بالطبيعة البدائية. المرحلة الثانية، العمران الحضري الموصوف بالتقدمية. وكل من هاتين المرحلتين متجسد في العمران.

لذلك، فإن نطاق العمران أوسع من الحضارة. ونتيجة لهذا النطاق الواسع، شرح ابن خلدون بالتفصيل عن الظروف المختلفة من خلال علم العمران.

نظرية العمران الذي يجمع بين الجوانب المعنوية والمادية في بناء رخاء المجتمع والدولة هي التي قام ابن خلدون بالمحافظة عليها.

لزيادة توضيح معنى العمران الواسع، قد أوجز ابن خلدون الميزات والاحتياجات الأساسية على النحو التالي:

1. تستند فلسفة وحكم العمران على قانون الطبيعة وخلق الإنسان من الله. هذا القانون قائم وراء هذه الأحداث إما في شكل الدين أو الأخلاق أو في شكل آيات الله في الكون.
2. ينبع تشكيل العمران من تاريخ البشر. ويعرف التاريخ كمعلومات حول سلوكيات الإنسان حول رغبته في التفاعل مع المجتمع والبيئة.
3. التعاون في مجموعة من الناس والمجتمع الخارجي. على سبيل المثال، المدينة بحاجة لتعاون من القرويين للحصول على محلات البقالة. وبالعكس المجتمع الريفي في حاجة إلى تعاون المجتمع المدني للحصول على المعدات للمؤسسات الزراعية.
4. يتطلب الموقع المناسب جغرافيا، وموارد الأراضي والمياه لتنفيذ الشركات التجارية والزراعية.
5. يتطلب المعرفة. فبدون المعرفة تكون جهود التجارة والزراعة والصناعة لا يمكن تنفيذها بشكل صحيح.
6. وجود الدولة السيادية، والمعتدلة والمتأثرة لإقناع الناس بتنفيذ القانون وإدارة البلاد.

[35] عبد الرحمن بن خلدون. (1993). مرجع سابق. ص292 و297.

7. التعليم الأخلاقي، ثم العثور على التربية الأخلاقية في جميع الأديان ونحتاج إلى المحافظة عليها لمنع الأمراض الاجتماعية مثل الرشوة وتعاطي المخدرات وما أشبه ذلك.
8. لها أساس قانوني ودستوري من الشريعة الإسلامية من أجل رفاهية العالم الدنيوي والآخروي[36].
9. إنشاء العلاقات والتعاون مع الدول الأجنبية لخلق الرخاء العالمي (عمران العالم).

تولد جميع هذه الخصائص في شكل متكامل وشامل دعما لتطوير وازدهار المجتمع والدولة. كل هذه المميزات تتوفر في بروناي دار السلام وإن شاء الله سيحاول الباحث تسليط الضوء على إحياء بلد الذكر ولإحياء الجوّ العمراني في البلاد.

نظرية عمران ابن خلدون تحتوي على مجال واسع وشامل للتاريخ والسياسة والجغرافيا وعلم الاجتماع والاقتصاد والدين والعلم. وتركز هذه المجالات على القضايا الاجتماعية وإقامة الدولة الإنسانية والقانونية وعلاقتها بالطبيعة والمجتمع صغيره وكبيره، بداية من الحياة العامة في الصحراء حتى الحياة العامة في المدينة، من المستوى المحلي إلى المستوى الدولي. فقانون الطبيعة مثل الهواء والماء والتربة والنباتات يؤثر على حياة الإنسان، كذلك قانون المجتمع في شكل العصبية الدينية والأخلاقية، والوحدة تؤثر على توازن الحياة في المجتمعات والبلدان. وهذا التوازن هو ما يقال عنه "العمران" الذي يؤدي إلى الرخاء والأمن والازدهار في الحياة (المعيشة) والبقاء على قيد الحياة (البقاء). وبالعكس وإذا اختفت قيم الدين وحدث الانهيار الأخلاقي، والفوضى، والافتراق والحروب، بزيادة المناخ المتغير وحدوث المصائب والكوارث التي تجعل العمران غير متوازن ومنهارًا في النهاية.

8. علم العمران وتعاليم الدين الإسلامي:

علم العمران العالمية المتكاملة ذات الصلة أو العلاقة القوية بتعاليم الدين الإسلامي الذي حاول ابن خلدون أن يطبقه في نظرية العمران، التي تشتمل على الجوانب النظرية والعملية والروحية والمادية وينبغي على المسلمين أن يفهموها جيدا ويطبقوها لتمنعهم من الحياة الروحية البحتة كما يمارسها بعض أتباع الديانات الأخرى.

طريقة الحياة الإسلامية هي الطريقة الكاملة، والعمران الذي يقوم على أساس العقيدة والأخلاق يجب تطبيقه في العالم الإسلامي. قد أظهر علماء المسلمين القدماء مثل ابن سينا، الفارابي، ابن الهيثم، وابن الرشد، وابن خلدون ... الخ. فهم ليسوا مختصصين فقط في مجال العقيدة والأخلاق، بل في مجال الثقافة والحضارة، وكذلك تتضمن المجال التشريعي والتعليمي والعلوم والتكنولوجيا. نجاحهم بلا شك في المشاركة مع المجتمع. هذه نتائج العمليات والتعاون بين أفراد المجتمع المتمسكون بتعاليم الإسلام والشريعة الإسلامية، ونظام الديمقراطية بكل صراحة ينتج نجاحا مزدوجا يتمثل في دولة الإسلام.

الجهود لتحديد المصير والمستقبل للمجتمع الإسلامي والدولة الإسلامية هو مسؤولية كل أعضاء المجتمع، تمشيا مع قوله تعالى في سورة الرعد أية 11<إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٖ > وجهودهم

[36] عبد الرحمن بن خلدون. (1993). مرجع سابق. ص 151.

سيستند على فلسفة العمران وطريقة الحياة الإسلامية السليمة.

من أجل تحقيق الاستقرار المجتمع الإسلامي، لا بد أن نعود إلى نظرية العمران التي قدمها ابن خلدون في القرن 14م كنموذج للتنمية. ومن أكثر ما كرّره ابن خلدون أسباب انهيار العمران.

وفقا لما قاله ابن خلدون، العمران لا يمكن أن يبقى بدون الوحدة والتعاون والعصبية بين أعضاء المجتمع والدولة، إذا فقد كليهما ضعف الدين والأخلاق، وإذا ضعف الدين والأخلاق ضعف وهدم العمران. سبب ضعف وهدم الدين والأخلاق هو الثقافة السلبية التي يمارسها أهل المدينة المتحضر مثل العيشة الفاخرة، واللهو والترف حتى اهمال سلوك العبادة والمسؤولية المتعلقة بالدين والمجتمع والدولة. ولذلك، خلص ابن خلدون إلى أن سبب انهيار العمران هو الحياة الحرة التي تولدت من "الحضارة" و التي تؤدي إلى انهيار الدين والأخلاق. هذا سبب ابن خلدون تقديم المصطلح الجديد وهو العمران وعمران العالم لوصف المعمور والازدهار الحقيقي العالمي التي يطلبه الدين الإسلامي.

في كلمة أخرى، العمران وعمران العالم أمر متميز من أثاره الدين الإسلامي من العلوم، والثقافة، والفنون والأخلاق التي شملت مجال الثقافة والمدنيّة. ومن كليهما جاء العمران وعمران العالم.

9. الخاتمة

الاختلاف الظاهر بين العمران عن الحضارة أو التمدّن سواء من ناحية المصادر أم اللغة والاصطلاح. كما قال ابن خلدون : "فالبدو أصل للمدن والحضر." "التمدّن غاية للبدوي." "ومدينة أكثر عمرانا من مدينة."

أي أن المدينة هي المكان الذي حدثت فيه عملية تكوين المجتمع من المرحلة البدوية إلى الحضرية والمدنية. يعني العمران لا يبدأ في المدن لأن العمران موجود مع المجتمع البدوي. والعمران في المدن صفاته متغيرة. ولذلك، يمكننا أن نصف العمران كقيمة في حياة المجتمع. إذا كانت قيمتها عالية فقيمة عمرانها كذلك عالية. تصبح قيمة الحياة عالية بسبب الاقتصاد، والدين والأخلاق. في حين، أن الحضارة أو التمدّن قيمتها في إنجاز التقدّم البنائي. أما العمران من الناحيتين فهو المادية والروحية (الدين والأخلاق) في وقت واحد.

لذلك كان فضّل ابن خلدون العمران علي الحضارة أو التمدّن ووضعه في مسرح العلم العالمي لينال تنمية المجتمع والدولة.

إن علم العمران يختلف عن العلوم الأخرى، فليس هو علم المنطق وليس هو علم السياسة المدنيّة بل هو علم مستقل بنفسه. يتعلق بطبيعة الخلق من أول تاريخه. نطاق البحث عن عمران العالم يبدأ من مستوى البدوية إلى تكوين القرى والمدن والدولة. فالناس في المرحلة البدوية يعيشون على الحاجيات فقط بخلاف الناس في المرحلة الحضرية فهم يحتاجون إلى الكماليات والترف الذي يجعلهم مبذرين ويسبب إلى الظواهر الإجتماعية السيئة حتى فقد العمران في المدينة وابتعد عن الخير.

ومن الجدير بالذكر أن هذا العلم علم جديد ولم ينتشر بشكل كامل في مجتمعنا، فمن مسؤوليتنا أن نعتمد عليه ونجعله داعما للحياة. ولذلك أدعو أن يساهم هذا البحث في نشر الدعوة إلى العلوم الإسلامية حتى لا تضيع

في سير الزمان من أجل الأجيال التالية. ولأنه مفتاح الفوز سواء فرديا أم اجتماعيا أم دوليا، وهو دائما ومستمر إلى آخر الزمان.

هذا هو لب الموضوع لبيان اتصال علم العمران بالدين الإسلامي، بأن الخطوات التي نسعى إليها الآن هي من أجل حياة المعمورة والجزاء في الدنيا والآخرة.

المراجع

القرآن الكريم

أبو زيد شلبي. 1974. *تاريخ الحضارة الإسلامية*. القاهرة : مكتبة وهبة،

أحمد شلبي . 1974. *موسوعة التاريخ والحضارة الإسلامية*، ج1، القاهرة:

سيد قطب. *في ظلال القرآن* . بيروت: دار العربية

سيد نقيب العطاس.1998

عبد السلام هارون.1960-1961. *المعجم الوسيط*. مصر:مجمع اللغة العربية

عبد الرحمن بن خلدون. 1993. *المقدمة*. بيروت: دار الكتب العلمية

عبد الكريم عثمان. 1992 *معالم الثقافة الإسلامية*، بيروت: مؤسسة الرسالة.

غنيم حامد أبو سعيد. 2007. *مراكز الحضارة الإسلامية*. القاهرة: دار السلام

تغكو اسكندر.1970القاموس الديواني... كوالا لمفور: DBP

البوطي محمد سعيد رمضان.1998. *منهج الحضارة الإنسانية في القرآن*. بيروت: دار الفكر العربي

الجابري محمد عابد.1992. *فكر ابن خلدون العصبية والدولة*. بيروت: مركز دراسة الوحدة العربية

موكتي علي. 1962. *فلسفة الإسلام عن التاريخ. جاكارتا*. ترجمة من كتاب شارليس إسّاوي An Arab philosophy of history (1950،1955)

Azizan Baharuddin.(1998)"Habitat Masyarakat Madani", in *Masyarakat Madani Suatu Tinjauan Awal*.. Selangor: Institut StrategiPembangunanMalaysia (Minds)

Anis Ahmad. (1982) "Reorientation of Islamic History: Some Methodological Issues". *Islam: Source and Purpose of Knowledge*. Herndon,Virginia: International Institute of Islamic Thought,

Mahayudin Hj Yahaya. (2014). *Teori `Umran Ibn Khaldun*. Brunei: Pusat Da`wah Islamiah.

Mahayudin Hj. Yahaya.(1984). *Pengertian Sejarah Islam dan Permasalahannya*.KualaLumpur:SarjanaSdn. Bhd .